

❖ توجهات الأسرة المسلمة في ظل العولمة

د. فريدة بلفراق

أستاذة محاضرة (أ)

كلية الحقوق والعلوم السياسية



مقدمة:

لقد اهتم الإسلام اهتماما كبيرا بتكوين الفرد تكوينا صالحا، لأن الإنسان هو أساس بناء المجتمع، مما جُبِلَ عليه من خلق فاضل، لإيجاد الأسرة المثالية التي يعيش الأفراد في ظلها عارفين لواجباتهم وحقوقهم، ناسجين علاقات الود والرحمة والمحبة الأسرية، لأن مجموع الأسر يكون لنا المجتمع المنشود الذي تسوده علاقات إنسانية رفيعة المستوى.

وقد ظهر من تعاليم الإسلام أيضا أنه جاء لينتقل بالبشر خطوات فسيحات إلى حياة مشرقة بالفضائل والآداب، وأنه اعتبر المراحل المؤدية إلى هذا الهدف النبيل من صميم رسالته، كما أنه عدَّ الإخلال بهذه الوسائل خروجاً عليه وابتعاداً عنه، إذ ليست الأخلاق من مواد الترف التي يمكن الاستغناء عنها، بل هي أصول الحياة التي يرتضيها الدين ويحترم ذويها⁽¹⁾.



غير أن رياح التغيرات المتتالية عبر الحقب التاريخية زعزع أسس الأسرة المسلمة، وزج بها في تيار كل تغيير يطرأ على العالم في مستوياته المختلفة، وآخر تيار في النظام الاجتماعي والثقافي والاقتصادي والسياسي، تمثل في رياح العولمة العاتية التي جرّت كل من يقف في طريقها إلى مصب مجهول، وأول من تعرض لهذا الجرف العاتي هو الفرد المسلم وبالأحرى الأسرة المسلمة، التي ضُربت في صميم بناءاتها القيمة والثقافية والحضارية، مما طرأ عليها من مظاهر غاية في الغرابة والاعترا ب.

وعلى هذا الأساس يمكن طرح الإشكالية التالية: ما هي أوضاع الأسرة المسلمة في مهب العولمة؟ وكيف أصبحت النظرة إلى المرأة والأسرة بعد التأثيرات على الحياة العامة للمجتمع؟

وستتم دراسة الموضوع من خلال العناصر التالية:

- الأسرة المسلمة واختراق العولمة.
- مفهوم العولمة وموقف الإسلام منها.
- انعكاسات العولمة على الأسرة المسلمة.
- مشكلات الأسرة بين التحدي والمواجهة.

أولاً: الأسرة المسلمة واختراق العولمة:

طالما تعرض الإسلام ولا يزال يتعرض إلى الكثير من حملات التشكيك والتجريح من تيار العولمة، الذي يسلك في حربه المكشوفة حيناً والمستترة أحياناً ضد الإسلام، أسلوب الترغيب والترهيب، ويستعين في ذلك بجهود هيئات ومؤسسات دولية اقتصادية وسياسية وتنموية وثقافية،



ومنها مختلف وسائل التأثير في الرأي العام العالمي، أو المنشغلة بحقوق الإنسان، كما أن هذا التيار لا يدّخر وسعا في تجنيد مفكرين وكتاب في مختلف الدول، ينظّرون ويروجون لمذاهب العولمة الاجتماعية البسيطة والسوقية، بهدف اختزال الشخصية الثقافية والهوية الحضارية الإسلامية وتصويرها بأنها أصبحت من مخلفات الماضي السحيق التي يحسن إهمالها ونسيانها، في وقت تكاد تصبح فيه مذاهب ما بعد الحداثة تقترب بالتدريج من الأيديولوجية الليبرالية الجديدة أي سيادة السوق في إدارة، الاقتصاد، أو الليبرالية المعولمة، التي تأكد بالتدريج مبادئ الديمقراطية الليبرالية؛ ونمط الدولة القومية الوطنية في العام الثالث تحديدا، وفي الوطن العربي والعالم الإسلامي، ومحاولتها إيقاظ أطر الانتماء السابقة في هذه الدول، كالقبلية والطائفية والتعصب المذهبي⁽²⁾.

فبعد نجاح أمريكا في تحقيق شعارها الذي رفعته في الستينيات، واستطاعت طرد الاستعمار القديم من مناطق نفوذه، حلت محله واستطاعت التخلص من الاتحاد السوفياتي وتفردت في حكم العالم، ففرضت نظامها الجديد. وانتقلت إلى تنفيذ مرحلة جديدة أطلق عليها العولمة، والتي تم التخطيط لها منذ الثمانينات، وتعني العولمة أمركة العالم، حيث تصبح العولمة دينا جديدا تعتنقه الشعوب، ولأن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يقف ضد عولمتها لابد من محاربته فكريا وسياسيا وعسكريا واقتصاديا وثقافيا، فأطلقت وصف الإرهاب على المسلمين الذين يسعون إلى إعادة الحكم الإسلامي إلى الحياة، بمبادئه وقيمه الممتازة التي تجعل من حياة



الأفراد يسيرة وقائمة على التآخي والفهم المتبادل وقبول الرأي الآخر لما فيه من صفاء السريرة⁽³⁾.

لذلك تعقدت الحياة العصرية نتيجة للتطور التقني والتفجر المعرفي الهائل وثورة المعلوماتية المدهشة، الأمر الذي جعل العالم قرية صغيرة، وجعل حياتنا مليئة بالاضطرابات النفسية وأشكال القلق المختلفة، كل ذلك يلقي على كاهل الأسرة أعباء ومسؤوليات جساما لتخفيف وطأة الظروف القاسية عن أفرادها، مما يجعل ملاذا روحيا يلجأ إليه هربا من صعوبة الحياة العصرية وتعقيداتها، إذ يلعب التواصل الأسري والتفاهم بين الزوجين دورا حيويا في تحفيز قدرات الإنسان على العمل وجعلها أكثر فعالية، ويخلف مقدمات ضرورية لحياة الإنسان الروحية، ويحدد روح الأسرة وأسلوبها والأدبيات المتبعة في التنشئة الاجتماعية للأطفال والمراهقين، كما يحمل في طياته السرور والسعادة، أو على العكس تماما يؤدي إلى إثارة الأحقاد والضغائن⁽⁴⁾.

وقد اعتمدت بعض الدول العربية أسلوبا اجتماعيا أبويا حين وفرت للمواطن حاجاته الأساسية بأثمان مدعومة، ما ساهم في إيجاد ذهنية التكاسل والتقاعد عن العمل الجدي، فظهرت تقاليد استهلاكية واسعة دون أن يقابلها مجهود في الإنتاج، وأدى هذا بدوره إلى خلط في المجتمعات العربية، وعجزها عن تلبية حاجاتها الأساسية المتزايدة من غذاء وملبس ومسكن وأمن وغير ذلك، ما فتح الباب على مصراعيه للآفات الاجتماعية،



وهذا الوضع المالي انعكس على المستوى الاقتصادي للأسرة بشكل عام وجعلها تلاحق سرعة التقدم والتدفق التقني في السوق الاستهلاكية⁽⁵⁾.

كما أن العجز عن التواصل بين الأهل والأطفال يعتبر إحدى الحقائق المريرة في هذا العصر، لقد أحصى علماء الاجتماع مدة التواصل بين الأطفال والأبوين، فكانت حوالي 15 دقيقة كل يوم، فكيف يمكن أن يوفر الوقت الكافي للتواصل بأطفالنا وخصوصاً لدى الأسر العاملة؟⁽⁶⁾ فضلاً عن خروج المرأة للعمل الذي شكل هزة عنيفة بالنسبة للكثير ممن مازالوا يرفضون عمل المرأة.

ثانياً: مفهوم العولمة وموقف الإسلام منها:

العولمة لفظ حديث جداً في العربية ولكنه ليس من اختراع العرب، بل هو ترجمة لكلمة عرفت في الغرب بـ Globalisation، وانشغل الناس بها هناك، وعقدوا لمناقشتها الندوات والمؤتمرات، فإذا بنا نشتغل بها بدورنا، ونحاول البحث عن معناها الحقيقي وتعريفها الصحيح، لأن تعريفات العولمة تتأثر بانحيازات الباحثين الأيديولوجية وموقفهم منها رفضاً أو قبولاً.

والعولمة ظهرت في الولايات المتحدة الأمريكية تفيد معنى تعميم الشيء وتوسيع دائرته ليشمل الكل، وبهذا المعنى يمكن أن نفترض أن الدعوة إلى العولمة بهذا المعنى إذا صدرت من بلد أو جماعة، فإنها تعني



نمطا من الأنماط التي تخص ذلك البلد أو تلك الجماعة وجعله يشمل العالم كله⁽⁷⁾.

والعولمة في دلالتها اللغوية أولا، هي جعل الشيء عالميا، بما يعني ذلك من جعل العالم كله وكأنه في منظومة واحدة متكاملة، ومن هنا جاء قرار مجمع اللغة العربية بالقاهرة بإجازة استعمال العولمة بمعنى جعل الشيء عالميا، وجاء في المعجم العالمي الشهير Webster أن العولمة هي اكتساب الشيء طابع العولمة، وجعل نطاق الشيء أو تطبيقه عالميا⁽⁸⁾.

وهناك معركة نظرية كبرى دارت بين الباحثين والمفكرين في مختلف أنحاء العالم حول تعريف العولمة، ومن بين التعريفات الأيديولوجية للعولمة تعريف يساري مؤداه أن العولمة هي أعلى مراحل الرأسمالية الاحتكارية، وهذا التعريف يركز على النشأة التاريخية للعولمة، والتي هي في جوهرها امتداد وتعميق للنظام الرأسمالي ونزوعه للهيمنة الكلية على الاقتصاد العالمي من خلال المؤسسات الدولية، وعن طريق الشركات دولية النشاط⁽⁹⁾.

فالعولمة تعني تحويل العالم المتعدد في دياناته وعاداته وثقافته إلى شيء متجانس وغير متفاوت، يتحد ثقافة وحضارة ومدنية، وهذا مكنم الخطورة، فما الجنس الثقافي والاجتماعي والحضاري والمدني الذي سوف يسود العالم ويجذبه إليه؟⁽¹⁰⁾.

والعولمة وفقا لجارودي Garoudi هي الوجه الآخر للهيمنة، أو هي التسمية البديلة للهيمنة الشاملة على العالم، والعولمة هي الاستعمار، ويقول

ريتشارد هبوت في كتابه "العولمة والأقلمة"، العولمة هي ما اعتدنا أن نطلق عليه في العالم الثالث، ولعدة قرون اسم الاستعمار، ويعرف ووترز العولمة بأنها عملية اجتماعية يتم من خلالها تقليص القيود التي تفرضها الجغرافيا على الأنظمة الثقافية والاجتماعية، كما يصبح الأفراد بدرجة متزايدة على وعي بتراجع هذه القيود⁽¹¹⁾.

أما موقف الإسلام من العولمة:

فإن الإسلام دين عالمي، وعالمية الإسلام تختلف عن العولمة، فمفهوم العولمة الذي يقوم على إجبار العالم على الأخذ بالمناهج والقيم الغربية ويفرض عليه ثقافة معينة، إنما هو مخالف لمفهوم العالمية الإنساني الذي يعترف بالخصوصيات الثقافية، وبتعددتها، ويتيح حرية الاختيار الثقافي فيما بينها، على أساس تعايش الحضارات وتلاحم الثقافات، ثم هو يحمل شروط التكافؤ في العلاقات الدولية من حيث التوزيع العادل للموارد العالمية، والمعاملة المتساوية في حقوق السيادة الدولية، والانتفاع المتوازن بمعطيات التقدم التكنولوجي⁽¹²⁾ فعالمية الإسلام ليست عولمة الهيمنة، فرض ثقافة واحدة قسرا على جميع البشر، وإنما هي عولمة تقوم على أساس أن الاختلاف سنة من سنن الكون وآية من آيات الله عز وجل في خلقه لقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَافُ اللَّسَانِ﴾ وَاللَّوْنِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴿الرُّومُ 22﴾⁽¹³⁾.



ثالثاً: انعكاسات العولمة على الأسرة المسلمة:

يكشف التأمل الدقيق لأوضاع معظم الأسر المسلمة اليوم عن فجوة عميقة بين الصورة التي يرتضيها الإسلام لها وواقعها الحالي، وذلك بسبب تسرب قيم العولمة إلى صميم الأسرة، لتصبح أهم ملامحها:

1- **التفكك**: فقد صار التماسك والترابط في كثير من أسرنا أثر بعيد.

2- **النفعية**: فلم تعد مصلحة الأسرة ككيان واحد تهم أفرادها، بل أصبح كل منهم أسير مصلحة ذاتية.

3- **شيوع العقوق**: فالبر والولاء للأبوين لم يعد قيمة متجذرة في نفوس الأبناء، الذين تحولت نظرتهم لأبائهم من التقدير إلى الاستهزاء وصاروا يعتبرونهم متخلفي التفكير.

4- **اختلاف معايير الأبوة والأمومة**: فكثير من الآباء يختزلون دورهم في الإنفاق متخليين عن مسؤولياتهم التربوية، وأدوارهم المعنوية في حياة أبنائهم، أما الأمهات فصرن يعتبرن أمومتهم عبئاً وتضحية غير مبررة وأن أعمارهن التي أنفقنها داخل أسرهن ضاعت سدى.

5- **تفسخ علاقات الجوار**: فكم من أسر تتجاور في السكن ولا يعرف بعضها بعضاً، إذ لم يعد الجار يتفقد أحوال جاره ويتحرى احتياجاته، بل صارت كل أسرة جزيرة معزولة عن غيرها.

6- **انهيار قيمة الكبير**: فالمسن الذي كان شيخ الأسرة وحكيمها ورأسها، صار ينظر إليه على أنه عبء وتراث يجب أن ينزوي في ركن، ودخلت بيوت المسنين ضمن ثقافة المجتمع بعدما كان ينظر إليها كعار،



وتراجعت صورة الأسرة الممتدة التي يمثل الجد والجدة عمودها، كما انتشرت ظاهرة مسني الشوارع الذين لا يجدون مأوى، أو الذين يعملون في مهن شاقة رغم شيخوختهم.

7- انتشار الجريمة الأسرية: فقتل الآباء للأبناء، والأبناء لأمهاتهم وآبائهم، والأزواج للزوجات والعكس، وزنا المحارم وغيرها من الجرائم التي تقع في نطاق الأسرة الواحدة أصبحت عناوين شبه ثابتة في صفحات الحوادث⁽¹⁴⁾.

8- غياب المفهوم الحقيقي للحرية: فبينما يطرح الإسلام قيمة الحرية الملتزمة بضوابط الشرع في إطار قاعدة "لا ضرر ولا ضرار"، أفرزت العولمة فهما فوضويا للحرية التي تجاوزت المسلك الشخصي إلى السلوك الجنسي، فبدأ الإعلام يروج بفكرة الملكية الخاصة للجسد، كما بدأت بعض الأفلام تقدم شخصية المثلى أو الشاذ، وتدافع عن اختياره.

9- النظر إلى الالتزام الديني كقيد: فكثير من الآباء والأمهات أصبحوا يعتبرون اتجاه أبنائهم نحو الدين قتلا لفرصهم في العمل والحياة، وساعد على ذلك ما تلاقيه المحجبات من صعوبات في الحصول على الوظائف، والنظر السلبي إلى أبناء الحركات الإسلامية، مما جعل الدين يتحول إلى مجرد طقوس تعبدية لا انعكاس لها على سلوك الفرد وأخلاقه، وهذا هو صلب أهداف العولمة، أي تنحية الدين عن الحياة، وفصله عن تفاعلات الحياة اليومية وحبسه في دور العبادة⁽¹⁵⁾.

فضلا عن تأثيرات أخرى منها:



- التأثير على مفهوم الزواج، إذ أن الوسائل الحديثة - كالفصائيات والانترنت تركز دائما على أن المرأة مظلومة ومقهوره وتطالب بأخذ حقوقها، وهذه فلسفة تعرض بشكل يومي وينظر إليها الجميع، مما يؤدي إلى التنازع على القوامة في الأسرة، وبالتالي كثرة المشاكل، ثم تفككها وتشرد الأبناء، كما أن الاتجاه العالمي يصبو نحو إلغاء كلمة زوج وإحلال لفظ شريك الحياة بديلا عنه، وقد تم العديد من المؤتمرات العالمية التي أجمعت على حرية الإنسان في الجنس، وكان آخرها مؤتمر التنمية والإسكان في القاهرة⁽¹⁶⁾.

- تأثر مفهوم القوامة والولاية الشرعية لرب الأسرة على أولاده وتأديبه لهم وتوجيههم، فهي في نظر العولمة ليست إلا تضيق على الحرية الفردية وحرمانا لها⁽¹⁷⁾.

- كثرة المشاكل الزوجية والأسرية الظاهرة الناجمة عن الانفتاح السلبي.

- كثرة الطلاق لأنفه الأسباب.

- ظاهرة البيوت الفندقية ظاهرة عصرية مستفحلة خاصة في بعض المجتمعات العربية.

- ظاهرة الخادومات والمربيات للصغار والسائقين المكلفين ليس بالقيادة فقط، وإنما في رعاية الأولاد وأهل البيت كلهم.

- الإغراق في الجانب الاقتصادي العائلي، وانشغال الوالدين بالعمل والوظيفة وطلب الرزق وشدة المعاناة المالية يصحبه استهلاك عائلي محموم⁽¹⁸⁾.



رابعاً: توجهات المرأة والأسرة المسلمة المعاصرة:

الأسرة هي الوحدة الاجتماعية الأولى التي يتكون منها المجتمع، فنواة البشرية التي تصل المليارات هي تلك الخلية الأولى التي تكونت من الأم والأب الذين ارتبطا برابط شرعي يقره المجتمع، سواء كان ذلك الرباط مستمداً من تعاليم الوحي، كما في المجتمعات المسلمة وأتباع الأديان السماوية الأخرى، أو من أعراف المجتمعات، والشرعة الإسلامية تعتني بالأسرة كثيراً في تكوينها ورعايتها بعد ذلك التكوين من خلال منظومة تشريعية دقيقة، حتى برز هذا الاهتمام من خلال تفرق عدد آيات تنظيم الشأن الأسري على المعاملات المالية، و من أمثلتها قوله تعالى: ﴿وَمَنْ ءَايَتْهُ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ "الروم" 21⁽¹⁹⁾.

ولعقود طويلة لعبت الأسرة إلى جانب المدرسة ودور العبادة دوراً أساسياً في تكوين مدارك الإنسان، وتحديد القيم التي يجب عليه أن يتمسك بها، فشكل ذلك قالباً معداً سلفاً تحت مسمى العادات والتقاليد والأعراف الاجتماعية، إلا أن ذلك الوضع قد تبدل بصورة كبيرة جداً في السنوات الأخيرة، حيث دخلت وسائل الاتصال وأجهزة الإعلام المختلفة كموجه بالغ الأثر في حياة الأفراد، وتشكيل نط تفكيرهم وسلوكهم العام.

لقد خلفت وسائل الاتصال نمطاً جديداً من العلاقات، يقوم على فرض علاقات حميمية بدرجة ما مع إنسان كوني بعيد جغرافياً، يحمل قيماً وعادات مختلفة، وأحياناً متناقضة تماماً مع ما يحمله الفرد الآخر، وفي



الوقت نفسه أسهمت هذه الوسائط في تخفيض درجة التآلف في العلاقات الأسرية بالصورة التي يمكن وصفها بأن القريب جدا بعيد نفسيا وفكريا، والبعيد جسدا قريب روحيا وسلوكيا في أحيان كثيرة، ولعل أبلغ تعبير عما آلت إليه الأمور، هو كتاب عالم الاجتماع ديفيد كوبر "موت الأسرة" استدل فيه على أن الأسرة بطابعها الكلاسيكي قد ماتت من خلال روحها الإنسانية وافتقادها للعاطفة⁽²⁰⁾.

ولقد استولت الأفكار الشاذة الداعية إلى كثير من المفاهيم الغربية عن المجتمعات الإسلامية، والتي تمس بالأسرة في الصميم مثل الثقافة الجنسية والشذوذ والمثلية على الساحة، بدعم من أوساط دولية هامة التي تحاول عولمة تلك الأفكار وترسيخها بل فرضها عبر كافة البلدان بمباركة وختم الأمم المتحدة، التي استولت الحركة الأنثوية الغربية المتطرفة على لجنة المرأة فيها، ونجحت في صياغة هذا الشذوذ في وثائق دولية مرورا باتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة سنة 1979، ووثيقة مؤتمر السكان سنة 1994، ووثيقة بيجين 1995، وحتى اتفاقية الطفل 1990، وتلتها وثيقة عالم جدير بالأطفال 2002، فغدا هذا العوج الفكري والشذوذ السلوكي جزءا من المنظومة الغربية التي يراد فرضها بالعولمة على العالمين⁽²¹⁾.

و لا يمكن فصل قضية المرأة عن قضية التخلف السائد في المجتمع، عن قضية الحريات، عن قضايا التنمية الاقتصادية، عن قضية العلاقات بالعالم الخارجي.

خامساً: الحركة الأنثوية قراءة نقدية إسلامية:

ليس هناك تاريخ محدد لظهور المصطلح في الأدبيات المعاصرة، وبعض اللغات لا توجد فيها كلمة feminism للتعبير عن سياسات المساواة بين الجنسين، وقيل أنها ظهرت في بريطانيا 1890م. ولكن وجدت هذه الكلمة طريقها إلى أكثر لغات العالم كعنوان واسم للحركات التي تنادي لمساواة الجنسين وتمكين المرأة في الحياة العامة وتحقيق استقلالها عن الرجل.

وحاليا فإن الحركة النسوية قد توسعت وتشعبت الآراء والميول والاتجاهات فيها، بحيث أصبحت مدارس متعددة وتيارات ليبرالية، ودينية، وشيوعية، ووجودية وديوية، راديكالية متطرفة⁽²²⁾ بل تغلغت أفكارها في الأوساط الاجتماعية للبلدان المسلمة، وأثرت حتى في صنع القرار السياسي بشكل أو بآخر.

1- مشكلات الأسرة:

إن الفكر الغربي في اتجاهه العلماني بعد أن استوطن المجتمعات الإسلامية، وبقي مستوطناً فيها بعد الاستقلال السياسي وتركز في الحكم والتوجيه، وبعد أن أزره اتجاهه الآخر المعاصر وهو الاتجاه الماركسي - في وقت من الأوقات - في هذين الجانبين أيضاً من جوانب حياة المجتمع الإسلامي، إمتد هذا الفكر إلى جانبي الأسرة والتكافل في حياة المجتمع، وأخذ يتأثر في تكييف علاقة الرجل بالمرأة ونظام الأسرة في نشأتها، ومجرى حياتها بما يقربها إما إلى تلك العلاقة في المجتمع الكاثوليكي في



قيود الزواج والطلاق، أو بما يميل بها نحو المساواة الحرفية بين الذكر والأنثى في التجربة الجنسية قبل الزواج، ووضع حق البقاء أو الانفصال بعده بيد القضاء⁽²³⁾.

وأصبحت تعكر صفو النظام الإسلامي في فطرته وبساطته، وفي مساوقته للطبيعة البشرية في المجتمعات الإسلامية رواسب الحضارة الغربية المادية التي حكمت العلاقة بين الرجل والمرأة منذ عهد الرومان إلى الوقت الحاضر في صورة فكر إنساني، وهي رواسب تتميز إما باحتقار المرأة وامتهانها وإلغاء شخصيتها، أو بإطلاق الحبل على الغارب لها، تنزل هي بنفسها إلى حيث تشاء في علاقتها بالرجل⁽²⁴⁾.

وكانت سياسة الاستعمار في البلدان المستعمرة هي ربط احتياجات هذه الأخيرة إلى المنتجات الصناعية الاستهلاكية بالإنتاج الصناعي في بلد المستعمر، ومن ثم لم تكن هناك حاجة إلى تدريب عمال أصحاب مهارات مختلفة من الوطنيين.

وقد أدت الفرصة الواسعة للعمل أمام المرأة والأجر المجزى عليه إلى تشجيع النزعة الاستقلالية لديها في سن مبكرة، عن أسرتها الأبوية وعن الرجل وأولادها في حياتها الزوجية، وأصبحت تشعر في نفسها بأنها مشاركة فقط في نفقات المعيشة أكثر منها عضوة متفاعلة في الأسرة، وقد لفت ذلك نظر الرجل، فأصبح الجانب الاقتصادي يفوق ما عداه في دفع الرجل نحو المرأة في البناء بها⁽²⁵⁾.

فاعامل الاقتصاد أصبح هو المعيار وحده، والمجتمع الواحد لا يقاس السلوك فيه بمقياس واحد في أي عهد كان، وهذا ينبغي لكي تتقارب معايير السلوك في المجتمع أن يعنى بالمستوى الاقتصادي لأفراده، بحيث تذهب الفوارق الكبيرة في الأجور والمرتبات وفي مستويات المعيشة بينهم.

وقد شجعت النزعة الاستقلالية لدى المرأة على قبولها لهذا الفكر ومعياره في السلوك الأخلاقي لأنه يغطي تصرفاتها في المجتمع، وبالتالي يعبد الطريق أمام انطلاقها وتحررها⁽²⁶⁾.

فأصبح العري للمرأة حضارة وجديدا مقبولا، وعرض جسدها مكشوفاً في كل الأماكن تقدماً وإعلاماً مباحاً، بل أصبح تصوير العلاقات الجنسية في غير مداره وفي غير شرعية لها أدباً حديثاً، وهذا وذاك أمر حضاري، والذي أضفى عليه هذه السمة الحضارية، هو عصر المجتمع الصناعي وأثر العامل الاقتصادي فيه على المرأة⁽²⁷⁾.

والأسرة في وقتنا المعاصر في البلدان العربية والإسلامية تمر بخلل مؤداه الملل تحت مسميات تبريرية، فهذا التحايل الذي منيت به الأمة بعوامل الإيفاد الغربي، هو تبرير لجرائم لا يحمد عقباها، فعلى الساحة الآن ولد بغير أب، وامرأة لكل الرجال، ورجل لكل النساء، حتى اختلت موازين القيم بالتقليد الأعمى والتبرير المخل.

فالأسرة التي تقوم على الوداد المستمر والرحمة تكون الحياة فيها السكينة، التي تسكن إليها النفوس، والمودة التي تطمئن لها القلوب،



والرحمة التي في ظلالها يعيش الكل مع الكل⁽²⁸⁾، لقوله تعالى:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ "الروم 21".

إن ثمة عللا نفسية غائرة سببت تقهقر المسلمين في الحياة، وجعلتهم لا يحسنون الإفادة من دينهم ولا يحسن دينهم الإفادة منهم، هذه العلل كانت أشبه بالخلل الآلي، أو المرض العضوي الذي تفقد الأشياء به تمامها، وتتخلف مع وجوده عن ثمارها.

فالإسلام لم يدر في أجهزة الأمة النفسية والاجتماعية كما يدور الدم في عروق الجسم دورته الرتيبة الدائمة، كلا، لقد اعترضته عوائق شتى جرت على الكيان كله أعراض الشلل والإعياء، لأن أمتنا قد أصيبت بما يشبه الأمراض المتناقضة⁽²⁹⁾.

خاتمة:

نظرا لأن إعداد المرأة لممارسة وظيفتها التربوية يشكل ثقلا عظيما في النظرة الشاملة بمصلحة الأمم عموما، فإن إعادة اهتمامات الإعلام بتلك المسألة من الأهمية بما كان، وهو أمر يستلزم قيام جميع القنوات الإعلامية بإبراز ذلك الدور، والتركيز على ممارسة المرأة دورها المنوط بها بوصفها مربية، يعد مسلكا عظيما في رقي الأمة، بل هو الطريق الأساسي لتحقيق آمال الأمة، ثم إعادة صياغتها عبر التربية إلى نواتج قيمة تضاف إلى رصيد الأمة الحضاري، ولأجل ذلك فإن من الضروري أن تضع وسائل الإعلام ضمن أهدافها، تبني المفهوم القائم على أن رقي الأمة مطلب إسلامي



حضاري لن يتأتى إلا من خلال إعادة تكوين النظريات التربوية وتأسيسها بما يتفق مع الأصول والمصادر السليمة التربوية المعتمدة على المصادر الإسلامية.

فضلا عن ضرورة إعداد الكوادر التي تستطيع ترجمة تلك النظريات إلى واقع أي العناية والتشجيع لإعداد المرأة المربية التي تمتص ما يجب أن تفعله، لتعيد تكوينه حقيقا تربويا يداوي جراح الأمة⁽³⁰⁾.

وقد قال الشيخ يوسف القرضاوي: أنه لابد للفرد من غاية يتطلع إليها غير نفسه وهواها، وإلا فإنه سيظل يدور حولها كالحمار في الرحا، أو الثور في الساقية يدور والمكان الذي انتهى إليه هو الذي بدأ منه، أو كما قال أحد الكتاب الغربيين في وصف (الوجوديين) الذين تدور فلسفتهم حول تحقيق الإنسان وجوده وذاته فحسب: "إنّ الوجودي مثله كمثل الكلب الذي يجري دائما حول نفسه ليمسك بذنبه، فلا هو يدرك ذنبه ولا هو يقف عن الجري، وهي لعبة تلعبها الكلاب حينما يجدون الفراغ، فيلهون بما لا نتيجة له"⁽³¹⁾.

وللنظر إلى المجتمعات الغربية، والمجتمعات الإسلامية التي حذت حذوها، واتبعت سننها، فجعلت من المادة والمتعة واللذة الجسدية غاية لها، والتي حاولت التلفيق بين مبادئ دينها، والفلسفات والتقاليد الغربية الوافدة، كيف جنت ثمرة ذلك تيتها وضلالا، تخبطا وتمزقا، وذوبانا في الشخصية ووقوعها فريسة القلق، والجريمة والفساد بشتى صفوفه وألوانه⁽³²⁾.



قائمة المراجع

- 1- إبراهيم بن عبد الله الدرويشي، التماسك الأسري في ظل العولمة، مؤسسة نور الإسلام، موقع: www.Islamlight.net
- 2- أحمد شهاب، تأثير العولمة على وضعيات المرأة، مجلة الكلمة، العدد 46، 2005، موقع: kalma.net
- 3- انعكاسات العولمة على الأسرة المسلمة، موقع: www.toq.net
- 4- إيمان محمود، الأسرة الخليجية إلى أين في ظل العولمة، مجلة العالمية، سبتمبر 2006، عدد 197، السنة 18، موقع: ilo.net
- 5- سمرة جميل مسكي، مكانة المرأة في الأسرة ودورها التربوي في منظور الإسلام، دار الكتب العلمية، بيروت، 2006.
- 6- عبد الله وكيل الشيخ، الأسرة المسلمة وصيانتها من أخطار العولمة، مجلة البيان، موقع albayan.co.uk
- 7- فرغلي هارون، مفهوم العولمة وموقف الإسلام منها، موقع: moslimonline.com
- 8- مجلة أحوال الناس، الأسرة في ظل العولمة ومواجهة الأنوثة المتطرفة، موقع lahaonline.com
- 9- محمد البهي، الفكر الإسلامي والمجتمع المعاصر، مشكلات الأسرة والتكافل، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، دت.
- 10- محمد الغزالي، الإسلام والطاقات المعطلة، الزيتونة للأعلام والنشر، باتنة، الجزائر، 1987.



12- محمد سيد طنطاوي، مؤتمر تحرير المرأة في الإسلام، تصميم محمد عبد الله المهدي، دار القلم للنشر والتوزيع، القاهرة، 2004، ط. 1

13- محمد عقله، الإسلام حقيقته وموجباته، شركة الشهاب، الجزائر، دت.

14- محمد متولي الشعراوي، أحكام الأسرة والبيت المسلم، المكتبة العصرية، بيروت، 2004.

15- نجاح السباتيني، أفغانستان أول ضحايا العولمة، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2003.

16- يحي أحمد الكعكي، العولمة الإسلامية، العربية، دار النهضة العربية، لبنان، 1423هـ.

الهوامش

01- محمد الغزالي، خلق المسلم، مكتبة رحاب، ساحة بور سعيد، الجزائر، 1987، ص 13.

02- يحي أحمد الكعكي، العولمة الإسلامية، العربية، دار النهضة العربية، لبنان، 1423هـ، 2003م.

03- نجاح السباتيني، ... أول ضحايا العولمة، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2003، ص 05.

04- إيمان محمود، الأسرة الخليجية ... في ظل العولمة، مجلة العالمية، سبتمبر 2006، عدد 197، السنة 18، موقع: ilo.net

05- إيمان محمود، مرجع سابق.

06- المرجع نفسه.



- 07- فرغلي هارون، مفهوم العولمة وموقف الإسلام منها، موقع: moslimonline.com
- 08- فوغالي هارون، مرجع سابق.
- 09- المرجع نفسه.
- 10- فوغالي هارون، مرجع سابق.
- 11- المرجع نفسه.
- 12- فوغالي هارون، مرجع سابق.
- 13- المرجع نفسه.
- 14- انعكاسات العولمة على الأسرة المسلمة، موقع: www.toq.net
- 15- انعكاسات العولمة على الأسرة المسلمة، المرجع السابق.
- 16- إبراهيم بن عبد الله الدرويشي، التماسك الأسري في ظل العولمة، مؤسسة نور الإسلام، موقع: www.Islamlight.net
- 17- عبد الله وكيل الشيخ، الأسرة المسلمة و صيانتها و من أخطار العولمة، مجلة البيان، موقع: albayan.co.uk
- 18- إبراهيم بن عبد الله الدرويشي، مرجع سابق.
- 19- عبد الله وكيل الشيخ، المرجع السابق.
- 20- أحمد شهاب، تأثير العولمة على وضعيات المرأة، مجلة الكلمة، العدد 46، 2005، موقع: kalma.net
- 21- مجلة أحوال الناس، الأسرة في ظل العولمة ومواجهة الأنثوية المتطرفة، موقع: lahaonline.com
- 22- محمد سيد طنطاوي، مؤتمر تحرير المرأة في الإسلام، تصميم محمد عبد الله المهدي، دار القلم للنشر والتوزيع، القاهرة، 2004، ط1، ص 224-325.
- 23- محمد البهي، الفكر الإسلامي والمجتمع المعاصر، مشكلات الأسرة والتكافل، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، دت، ص 03.
- 24- محمد البهي، مرجع سابق، ص 03.



- 25- محمد البهي، المرجع السابق، ص 117.
- 26- محمد البهي، مرجع سابق، ص 121-122.
- 27- محمد البهي، مرجع سابق، ص 121، 122.
- 28- محمد متولي الشعراوي، أحكام الأسرة و.. المسلم، المكتبة العصرية، بيروت، 2004، ص 17.
- 29- محمد الغزالي، الإسلام والطاقت المعطلة، الزيتونة للأعلام والنشر، باتنة، الجزائر، 1987، ص 123.
- 30- سمرة جميل مسكي، مكانة المرأة في الأسرة ودورها التربوي في منظور الإسلام، دار الكتب العلمية، بيروت، 2006، ص 242-243.
- 31- محمد عقله، الإسلام حقيقته وموجباته، شركة الشهاب، الجزائر، دت، ص 57.
- 32- محمد عقله، مرجع سابق، ص 58.

